بسم الله الرحمن الرحيم

قالَ الْمُصَنِّفُ -رَحِمَهُ اللهُ تَعالَى- : **[٢١٣ – عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا– قَالَ : أُخْبِرَ رَسُوْلُ اللهِ –ﷺ– أَنِّي أَقُوْلُ : (وَاللهِ لأَصُوْمَنَّ النَّهَارَ ، وَلأَقُوْمَنَّ اللَّيْلَ مَا عِشْتُ) ، فَقَالَ رَسُوْلُ اللهِ –ﷺ– : ((أَنْتَ الَّذِي قُلْتَ ذَلِكَ ؟)) ، فَقُلْتُ لَهُ : (قَدْ قُلْتُهُ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي) ، فَقَالَ : ((إِنَّكَ لا تَسْتَطِيْعُ ذَلِكَ ، فَصُمْ وَأَفْطِرْ ، وَنَمْ وَقُمْ ، وَصُمْ مِنَ الشَّهْرِ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ ؛ فَإِنَّ الْحَسَنَةَ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا ، وَذَلِكَ مِثْلُ صِيَامِ الدَّهْرِ)) ، قُلْتُ : (فَإِنِّي أُطِيْقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ) ، قَالَ : ((فَصُمْ يَوْمًا ، وَأَفْطِرْ يَوْمَيْنِ)) قُلْتُ : (أُطِيْقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ) قَالَ : ((فَصُمْ يَوْمًا ، وَأَفْطِرْ يَوْمًا ، فَذَلِكَ صِيَامُ دَاوُدَ –عليه السلام– ، وَهُوَ أَفْضَلُ الصِّيَامِ)) قُلْتُ : (إِنِّي أُطِيْقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ) ، قَالَ : ((لا أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ)) .**

وَفِي رِوَايَةٍ : ((لا صَوْمَ فَوْقَ صِيَامِ دَاوُدَ –شَطْرَ الدَّهْرِ– صُمْ يَوْمًا ، وَأَفْطِرْ يَوْمًا))].

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ ، الحمدُ للهِ ربِّ العالَمِينَ ، وصلَّى اللهُ وسلَّمَ وباركَ على خيرِ خلقِهِ أجمعِينَ ، وعلى آلِهِ وصحبِهِ ومَنْ سارَ على سبيلِهِ ونهجِهِ إلى يومِ الدِّيْنِ ، أمَّا بعدُ :

فقد ذَكَرَ الْمُصَنِّفُ -رَحِمَهُ اللهُ- حديثَ عبدِ اللهِ بنِ عمرِو بنِ العاصِ -رضي الله عنه وَعَنْ أَبِيْهِ- قَالَ : أُخْبِرَ النَّبِيُّ -ﷺ- أَنِّي أَقُوْلُ : (وَاللهِ لأَصُوْمَنَّ النَّهَارَ ، وَلأَقُوْمَنَّ اللَّيْلَ مَا عِشْتُ) فَقَالَ -عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ- : ((**أَنْتَ الَّذِي قُلْتَ ذَلِكَ** ؟)) فَقُلْتُ لَهُ : (قَدْ قُلْتُهُ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُوْلَ اللهِ) قَالَ : ((**إِنَّكَ لا تَسْتَطِيْعُ ذَلِكَ ، فَصُمْ وَأَفْطِرْ ، وَقُمْ وَنَمْ ، وَصُمْ مِنَ الشَّهْرِ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ ؛ فَإِنَّ الْحَسَنَةَ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا ، فَذَلِكَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ**)) قُلْتُ : (يَا رَسُوْلَ اللهِ إِنِّي أُطِيْقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ) قَالَ : ((**فَصُمْ يَوْمًا ، وَأَفْطِرْ يَوْمَيْنِ**)) قُلْتُ : (إِنِّي أُطِيْقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ) قَالَ : ((**فَصُمْ يَوْمًا ، وَأَفْطِرْ يَوْمًا ، فَذَاكَ صِيَامُ دَاوُدَ** -عليه السلام-)) فَقُلْتُ : (إِنِّي أُطِيْقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ) قَالَ : ((**لا أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ**)) .

اشتملَ هذا الحديثُ الشَّريفُ على **بيانِ هديِ النَّبِيِّ** -ﷺ- **في صيامِ التَّطوُّعِ ، وبيانِ أفضلِ أنواعِ صيامِ التَّطوُّعِ** ، وفصَّلَ فيه النَّبِيُّ -ﷺ- هذا التَّفصيلَ الْمَبني على سماحةِ الشَّريعةِ ويُسرِها ورفعَ العنتَ والْمَشقةَ عن العبادِ .

ونظرًا لاشتمالِ هذا الحديثِ على هذا الحكمِ الشَّرعيِّ نَاسَبَ أنْ يعتنيَ الْمُصَنِّفُ –رَحِمَهُ اللهُ– بإيرادِهِ في هذا البابِ .

يقولُ هذا الصَّحابيُّ الجليلُ عبدُ اللهِ بنُ عمرِو بنِ العاصِ : ((**أُخْبِرَ النَّبِيُّ –عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ–**)) جاءَتْ هذه الرِّوايةُ بالإجمالِ ، وجاءَتْ روايةٌ أُخرى فصَّلَتْ وبيَّنَتْ مَنِ الذي أَخبرَ رسولَ اللهِ –ﷺ– .

وحاصلُ ذلك : أنَّ عمرَو بنَ العاصِ زوَّجَ ابنَهُ عبدَ الله بنَ عمرٍو بامرأةٍ ذاتِ حسبٍ ونسبٍ ، ثم إنَّ عبدَ اللهِ كانَ مجتهدًا في العبادةِ ، مقبلاً على الخيرِ ، كثيرَ الزَّهادةِ ، فأعرضَ عن نكاحِ الْمَرأةِ والاستمتاعِ بها ، فدخلَ أبوه ذاتَ يومٍ فلم يجدْ عبدَ اللهِ ، وسألَ الْمَرأةَ عن حالِها معَ بعلِها ، فقالَتْ له –رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وَأَرْضَاهَا– : (نِعْمَ الرَّجُلُ عبدُ اللهِ ، لم يطأْ لنا فرشًا ، ولم يكشفْ لنا كنفًا منذُ أنْ جئنَاهُ) ، فلمَّا علمَ أبوه بذلك انتظرَ حتى أتى عبدَ الله وعاتبَهُ وقالَ : (أَي بُنَيَّ ، ألم أُزوِّجْكَ ؟ وأفعلْ ، وأفعلْ ؟) ، قالَ : (بلى ، يا أَبَتِي) ، قالَ : (عَضَلْتَ الْمَرأةَ ، وفعلْتَ وفعلْتَ) ، ثم عاتبَهُ ، وتركَهُ لعلَّهُ أنْ يراجعَ نفسَهُ ، وأنْ يصلحَ من حالِهِ معَ أهلِهِ وزوجِهِ ، ولكنَّ اللهَ –سُبْحَانَهُ– ملأَ قلبَ عبدِ اللهِ بالآخرةِ ، فأصبحَ على حالِهِ الذي كانَ عليه ، لم يُعرِضْ عمَّا هوَ مُقبلٌ عليه ، فلَمَّا نظرَ أبوه إلى ذلك شكاهُ إلى رسولِ اللهِ –ﷺ– .

وفي هذه الجملِ فوائدُ :

أولُها : حرصُ أصحابِ النَّبِيِّ –ﷺ– على القيامِ بالرِّعايةِ والأمانةِ والْمَسؤوليةِ تجاهَ الأبناءِ والذُّريةِ ، فهذا عمرُو بنُ العاصِ يسألُ عن حالِ ابنِهِ مع زوجِهِ ، الأمرُ الذي يدلُّ على أنَّ هناك مسؤوليةً ملقاةً على الآباءِ تجاهَ أبنائِهم ، أنْ يتفقَّدُوا أمورَهم وأحوالَهم وشؤونَهُم ، فما وجدُوا من خيرٍ حمدُوا اللهَ –عَزَّ وَجَلَّ– ، وما وجدُوا من شرٍّ نَهَوا عنه وزجرُوا عنه ، وأخذُوا بالأسبابِ التي تُعينُ على قطعِ دابرِهِ والابتعادِ منه .

وهذه سيرةُ الأنبياءِ –صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِمْ– ، فهذا نَبِيُّ اللهِ الخليلُ –صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيهِ– لَمَّا أتى إلى بيتِ ابنِهِ إسماعيلَ –كما في الصَّحيحِ– سألَ زوجتَهُ عن حالِها معه ، فعابَتْ إسماعيلَ وتكلَّمَتْ فيه ، وهي لم تعرفْ إبراهيمَ –عَلَيْهِ السَّلَامُ– ، وكانَتِ امرأةً سيئةً ، فلمَّا علمَ من حالِها ذلك ، قالَ لها : إذا أتى إسماعيلُ من الصَّيدِ اقرئي عليه السَّلامَ ، وقُولي له : أنْ يغيِّرَ عتبةَ دارِهِ ، فلمَّا أتى إسماعيلُ –عَلَيْهِ السَّلَامُ– سألَها عن صفاتِ الرَّجُلِ ، فوصفَتْهُ ، فإذا هوَ أبوه ، فقالَ لها

: وماذا قالَ لكِ ؟ قالَتْ : يقرأُ عليكَ السَّلامَ ، ويقولُ : غيِّرْ عتبةَ دارِكَ ، قالَ : ذلك أبي ، وقد أمرَني بتطليقِكِ ، فطلَّقَهَا -عليه السلام- .

ثم تزوَّجَ امرأةً ثانيةً ، فجاءَ الخليلُ -عليه السلام- في غيبتِهِ ، وسألَ عنه ، فذكرَتْ أنَّه ذهبَ للصَّيدِ ، ويلتمسُ الطَّعامَ لهم ، فسألَهَا عن حالِهِ ، فحمدَتْ حالَ بعلِهَا ، وأثنَتْ على ما كانَ من زوجِها ، وكانَتْ نِعْمَ الْمَرأةُ ، فلمَّا انتهَتْ من مقالتِها ، قالَ : إذا أتى فاقرئِي عليه السَّلامَ وقُولي له : ثَبِّتْ عتبةَ دارِكَ ، فلمَّا أتى -عليه السلام- ووصفَتْ له إبراهيمَ على صفتِهِ ، قالَ لها : وماذا قالَ ؟ قالَتْ : يقرأُ عليك السَّلامَ ، ويقولُ : ثبِّتْ عتبةَ دارِكَ ،قالَ : ذاكَ أبي ، وقد أمرَني أنْ أُمسكَكِ .

هذه هي الأُبُوَّةُ الصَّادقةُ ، والقيامُ بالْمَسؤوليةِ والأمانةِ ، فالأبُ الكاملُ في أُبوَّتِهِ الذي يرجُو عظيمَ رحمةِ ربِّه ، مشفقٌ على أولادِهِ ، مشفقٌ على ذُرِيَّتِهِ ، لا تقفُ رسالتَهُ عندَ زواجِ الابنِ ودخولِهِ إلى بيتِ الزَّوجيةِ ، بل يستمرُّ بالسُّؤالِ والكشفِ عن الحالِ في الحدودِ الشَّرعيةِ ، فإنْ رأى الخيرَ حمدَ اللهَ ، وأثنى عليه بما هوَ أهلُهُ ، وإنْ رأَى غيرَ ذلك استعانَ باللهِ -عز وجل- على تغييرِ ما أمرَ اللهُ بتغييرِهِ .

فهذا الصَّحابيُّ الجليلُ -رضي الله عنه وَأَرْضَاهُ- أتى إلى بيتِ ابنِهِ ، وسألَ عن حالِهِ معَ زوجتِهِ ، وكما أنَّ الأبَ يفعلُ ذلك ، فالْمُنبغي على الأُمِّ أنْ تفعلَ ذلكَ معَ بنتِها ، ولا بأسَ مع ابنِها أيضًا ، فإنَّ الأبناءَ والبناتِ تتغيَّرُ أحوالُهم ، وتصلحُ أمورُهم بتوجيهِ الوالدينِ أكثرَ من توجيهِ غيرِ الوالدينِ .

فلمَّا تبيَّنَ لعمرِو بنِ العاصِ -رضي الله عنه وَأَرْضَاهُ- حالَ ابنِهِ أنصفَ وعدلَ ، **وهذه وقفةٌ ثانيةٌ** معَ كُلِّ أبٍ يخافُ اللهَ ويتقيهِ ، ويعلمُ علمَ اليقينِ أنَّه مُلاقيهِ أنَّ عليه أنْ ينصفَ أولادَهُ من النَّاسِ ، وأنْ لا تأخُذَهُ العاطفةُ إلى الظُّلمِ والجورِ وهضمِ الحقوقِ ، فإنَّ عَمْرًا -رضي الله عنه وَأَرْضَاهُ- لم يسكتْ على خطأِ ابنِهِ ، بل ذهبَ إلى ابنِهِ وقالَ : (أي بُنَيَّ ، ألم أُزوِّجْكَ ، وأفعلْ معك وأفعلْ) قالَ : (بلى) ، قال : (عَضَلْتَ الزَّوجةَ وظلمْتَهَا) ، ثم ذكرَ ما كانَ منه من الخطأِ واجهَهُ بالخطأِ وصرَّحَ له بالزَّللِ ؛ حتى يستقيمَ على طاعةِ اللهِ وما أمرَ اللهُ به من أداءِ حقوقِ الفراشِ للأهلِ والزَّوجةِ ، فلمَّا استمرَّ عبدُ اللهِ -رضي الله عنه وَأَرْضَاهُ- على حالِهِ ، وكانَ يظُنُّ أنَّه في رخصةٍ من أمرِهِ ، انطلقَ عمرُو بنُ العاصِ إلى النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- ، إلى رسولِ الأُمَّةِ -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيهِ- .

وتأمَّلْ كيفَ يقفُ الأبُ الصَّالحُ مع الزَّوجةِ ضدَّ ابنِهِ ؟! وكيفَ أنَّه يسعى في معالجةِ خطأِ ابنِهِ ، ويحرصُ على أنْ يأخُذَ بحجزِ ابنِهِ عن النَّارِ ؛ استجابةً لأمرِ اللهِ حينما أمرَ كُلَّ والدٍ أنْ يسعى في

فكاكِ نفسِهِ وأهلِهِ من نارِ اللهِ وعقوبتِهِ ، فكانَ -رضي الله عنه- مشفقًا على ابنِهِ في حقِّ أهلِهِ وزوجِهِ فوقفَ أمامَ رسولِ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- ، واشتكى إليه الأمرَ ، وذلك أنَّ عبدَ اللهِ أقسمَ باللهِ العظيمِ ليصومَنَّ النَّهارَ ، وليقومَنَّ اللَّيلَ ما عاشَ أبدًا ، وهذا القَسَمُ جعلَهُ محتمًا عليه ، لازمًا عليه أنْ يقومَ به ، فامتنعَ من الرُّجوعِ من أجلِ هذا القَسَمِ -رضي الله عنه وَأَرْضَاهُ- .

فلمَّا أُخبِرَ -عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ- بهذا الأمرِ في بعضِ الرِّواياتِ قالَ -عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ- لعمرِو بنِ العاصِ : ((**إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَجْمَعَنِي بِهِ فَافْعَلْ**)) ، فاجتمعَ عبدُ اللهِ معَ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- وأبيه ، فقالَ -عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ- : ((**أَأَنْتَ الَّذِي تَقُوْلُ كَذَا وَكَذَا ؟**)) **هنا وقفةٌ** حيثُ يجبُ على كُلِّ مسلمٍ يخافُ اللهَ ، ويعلمُ أنَّ اللهَ سألَهُ عن إخوانِهِ وحقوقِ الْمُسلمينَ أنْ يتَّقيَ اللهَ في الشَّائعاتِ ، وأنْ لا يعتقدَ شيئًا في إخوانِهِ الْمُسلمينَ إلا وعندَهُ حجةٌ يلقى اللهَ -عز وجل- بها ، هذا رسولُ الأُمَّةِ -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيهِ- يتثبَّتُ من الخبرِ ، معَ أنَّ الخبرَ جاءَهُ بشهادةِ والدٍ على ولدِهِ ، وليسَ هناكَ أقوى من شهادةِ الوالدِ على ولدِهِ ، قد يشهدُ الوالدُ لولدِهِ ، ويشهدُ الولدُ لوالدِهِ ، لكن أنْ يشهدَ ضدَّهُ وعليه ، فذلك من أقوى ما تكونُ عليه الشَّهادةُ ، ولذلكَ كانَ بعضُ العلماءِ يقولُ بقبولِ شهادةِ الولدِ على والدِهِ ، والوالدِ على ولدِهِ ، ولا يقبلُ شهادةُ كُلٍّ منهما للآخرِ ؛ لأنَّ التُّهمةَ منتفيةٌ ، فإنَّ الأبَ الحنونَ والأبَ الصَّادقَ لا يرضى أنْ يجلبَ الضَّررَ على ولدِهِ .

ومعَ هذا كُلِّهِ لم يكتفِ -عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ- بخبرِ عمرِو بنِ العاصِ ، بل قالَ لعبدِ اللهِ : ((**أَأَنْتَ الَّذِي تَقُوْلُ كَذَا وَكَذَا ؟**)) ، قالَ اللهُ -تَعَالَى- : ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ** ﴾ ، وليسَ الْمُرادُ هذا أنْ يوصفَ عمرٌو أنَّه فاسقٌ حاشاهُ -رضي الله عنه وَأَرْضَاهُ- ، وإنَّما هوَ الْمَنهجُ القُرآنيُّ الرَّبانيُّ أنَّ الغالبَ في الشَّائعاتِ أنْ تكونَ من الفُسَّاقِ فعُبِّرَ بالغالبِ ، ولذلك ينبغي التثبُّتُ ، وينبغي أنْ يحفظَ الْمُسلمَ لإخوانِهِ حقوقَهم ، فلا يعتقدُ شيئًا حتى يثبتَ بالدَّليلِ : ((**أَأَنْتَ الَّذِي تَقُوْلُ كَذَا وَكَذَا ؟**)) .

ثم يقولُ عبدُ اللهِ -رضي الله عنه وَأَرْضَاهُ- : ((**قَدْ قُلْتُ ذَلِكَ ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُوْلَ اللهِ**)) -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيهِ- ، **وقفةٌ** معَ هذا الصِّدقِ ، حيثُ يجبُ على كُلِّ مسلمٍ أنْ يكونَ صادقًا أمينًا في خبرِهِ وقولِهِ ، فالذي قالَهُ يعترفُ أنَّه قالَ ، والذي فعلَهُ يعترفُ أنَّه فعلَ ، ولا يجوزُ له أنْ يقولَ خِلافَ الحقِّ والحقيقةِ ، قالَ -تَعَالَى- : ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ**

مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ ، فصدقَ عبدُ اللهِ –رضي الله عنه وَأَرْضَاهُ– وصدَّقَ الخبرَ لرسولِ اللهِ –ﷺ– ، قالَ : ((**قَدْ قُلْتُهُ**)) ، وهذه شجاعةٌ في الحقِ ، أنَّك إذا قُلْتَ شيئًا ، وسُئِلْتَ عن ذلكَ الشَّيءِ : هل قُلْتَهُ أو لم تقلْهُ ؟ فقُلْ : قد قُلْتُهُ ، وتكونُ صادقًا فيما تقولُ ، وإنْ غُيِّرَ الكلامُ عليكَ ، فقُلْ : قد قُلْتُ كذا وكذا ، ولم أقلْ كذا وكذا .

ثم إنَّه –رضي الله عنه– معَ جوابِهِ للصِّدقِ تأدَّبَ معَ رسولِ اللهِ –صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيهِ– : ((**قَدْ قُلْتُهُ ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُوْلَ اللهِ**)) ، كانُوا يكرمُونَ رسولَ اللهِ –ﷺ– ويجلُّونَهُ ويوقرونَهُ .

قالَ بعضُ العلماءِ : إنَّ اللهَ أكرمَ نبيَّهُ ، فجعلَ صحابتَهُ خيرَ صحبٍ للرَّسولِ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ– ما قالَ : (قَدْ قُلْتُهُ) ولكن قالَ : ((**قَدْ قُلْتُهُ ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُوْلَ اللهِ**)) أي أفديك بأبي وأُمِّي ، فكانُوا يَفْدُونَ رسولَ اللهِ –ﷺ– بأعزِّ ما يملكُونَ ، فليسَ في الدُّنيا أحدٌ أكرمَ عليهم في الخلقِ من رسولِ اللهِ –ﷺ– .

وهذه الكلمةُ : ((**بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي**)) تُقَالُ لرسولِ اللهِ –ﷺ– إجماعًا ؛ لأنَّ تعظيمَهُ وتوقيرَهُ –عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ– في الحدودِ الشَّرعيةِ تعظيمٌ للدِّينِ ، تعظيمٌ للشَّريعةِ ، وإكرامُهُ –عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ– إكرامٌ للرِّسالةِ ، وإكرامٌ للنُّبوةِ التي بُعثَ بها –عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ– .

واختلفَ العلماءُ : هل يجوزُ أنْ يُقَالَ : ((**فِدَاكَ بِأَبِي وَأُمِّي**)) لغيرِ رسولِ اللهِ –عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ– ؟

والذي اختارَهُ جَمْعٌ من العلماءِ والْمُحققينَ **أنَّ هذه الكلمةَ فيها تفصيلٌ** :

فإنْ كانَ الذي تُقَالُ له ممنْ يُقصدُ به وجهُ اللهِ والدَّارُ الآخرةِ ، كالعلماءِ الأتقياءِ الذينَ لهم حقوقٌ على الأُمَّةِ ، فيقولُ الْمُسلمُ : (أفديك بأبي أنتَ وأمي) ؛ توقيرًا وإجلالاً للعلمِ ، لا لذاتِ العالمِ ، ولكن يرى أنَّ العلمَ الذي حواهُ هذا العالمُ وما جَمَعَهُ بينَ دفَّتي صدرِهِ من كلامِ اللهِ وكلامِ رسولِهِ –ﷺ– أعزُّ عندَهُ من أبيه وأُمِّهِ ، فإذا قالَ ذلك فهي قُرْبَةٌ .

واستدلُّوا : بأنَّ الصَّحابةَ –رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ– قالَ بعضُهم لبعضٍ هذه الكلمةَ ، وقيلَتْ لعُمَرَ بنِ الخطَّابِ –رضي الله عنه وَأَرْضَاهُ– .

وأمَّا إذا كانَتْ هذه الكلمةُ تُقَالُ لِمَطامعِ الدُّنيا ، أو تُقَالُ لِمَنْ لا يستحقُّ ، فلا ينبغي للمُسلمِ أنْ يُقَدِّمَ على والديهِ أحدًا منَ النَّاسِ إلا بحقٍّ من حقوقِ الشَّريعةِ ، فالوالدانِ أمرُهما عظيمٌ ، ولا يمكنُ للإنسانِ أنْ يتنازلَ عن حقِّ الوالدينِ ؛ لعظيمِ حقِّهِما الذي قَرَنَهُ اللهُ بحقِّهِ

-سُبْحَانَهُ- من فوقِ سبعِ سماواتٍ ، فأمرَ ببرِّهما والإحسانِ إليهما ، فليسَ من الإحسانِ أنْ يمتهنَهُمَا ، وأنْ يقفَ موقفًا فيه ذلٌ لهما ، فيجعلَ غيرَهما مُقدَّمًا في نفسِهِ عليهما إلّا مَنْ أَمَرَ اللهُ بتقديمِهِ وإجلالِهِ .

قالَ -عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ- : ((**إنَّكَ لا تَسْتَطِيْعُ ذَلِكَ**)) أقسمَ عبدُ اللهِ بنُ عمرِو بنِ العاصِ هذا القَسَمَ ، فأخبرَهُ -ﷺ- أنَّه لا يستطيعُ أنْ يصومَ النَّهارَ ويقومَ اللَّيلَ ؛ لأنَّه إنِ استطاعَ لفترةٍ ، فلا شكَّ أنَّه سيتعبُ وينصبُ ، ولرُبَّمَا أصابَتْهُ الأسقامُ والأمراضُ والعللُ ، فحالَتْ بينَهُ وبيَن هذا الذي حَلَفَ عليه .

فقالَ -عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ- : ((**فَصُمْ وَأَفْطِرْ ، وَقُمْ وَنَمْ ، وَصُمْ مِنَ الشَّهْرِ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ ؛ فَإِنَّ الْحَسَنَةَ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا ، فَذَلِكَ مِثْلُ صِيَامِ الدَّهْرِ**)) .

((**صُمْ وَأَفْطِرْ ، وَقُمْ وَنَمْ**)) : هذه هي سُنَّةُ النَّبِيِّ -عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ- العدلُ الوسطُ الذي لا تفريطَ فيه ولا شططَ ، العدلُ الوسطُ الذي قامَتْ عليه شريعةُ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- ، فإنَّ الإنسانَ إذا تركَ الصِّيامَ والطَّاعةَ فاتَهُ الخيرُ ، وإذا أقبلَ على الطَّاعةِ إقبالاً فيه مشقةٌ وعنتٌ على النَّفسِ ، وتكليفٌ لها بما لا تطيقُ ، فإنَّهَا كما أخبرَ -ﷺ- ستسأمُ وتملُّ : ((**وَإِنَّ الْمُنْبَتَّ لا ظَهْرًا أَبْقَى ، وَلا أَرْضًا قَطَعَ**)) ، فالذي يشقُّ على نفسِهِ في العبادةِ بينَ أمرينِ :

إمَّا أنْ يصلَ إلى درجةٍ يملُّ فيها العبادةَ -وَالْعِيَاذُ بِاللهِ- ، وهذا خطَرٌ عليه ، ولذلك قالَ -ﷺ- في هذا الصِّنفِ : ((**اِكْلَفُوا مِنَ الأَعْمَالِ مَا تُطِيْقُوْنَ ؛ فَإِنَّ اللهَ لا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا**))

وإمَّا أنْ يصلَ إلى درجةٍ كما ذكرْنَا يسقطُ فيها مريضًا ، فتضيعُ عليه الفرائضُ ، فلا يستطيعُ أنْ يقومَ بالفرائضِ التي فَرَضَ اللهُ عليه ، فيكونُ طالبًا للنَّوافلِ على حسابِ الفرائضِ والعباداتِ ، فلا هوَ أدركَ النَّوافلَ ، ولا هوَ أدركَ الواجباتِ ، وهذا الصِّنفُ أشارَ إليه النَّبِيُّ -ﷺ- بقولِهِ : ((**إِنَّ الْمُنْبَتَّ لا ظَهْرًا أَبْقَى ، وَلا أَرْضًا قَطَعَ**)) ، الْمُنبَتَّ : الذي له دابَّةٌ يسافرُ عليها ، بينَهُ وبينَ بلدتِهِ أو مكانِهِ مسيرةَ أيامٍ ، فيقولُ : أسيرُ اللَّيلَ والنَّهارَ ، حتى أُدركَ الْمَسافةَ في أقربِ فرصةٍ ، فيستعجلُ الدَّابَّةَ ولا يتركُهَا ترتاحُ ، فإذا به في نصفِ الطَّريقِ قد ماتَتْ دابَّتُهُ وسقطَتْ ، فلا هوَ قطعَ الْمَسافةَ التي يريدُها ، ولا هوَ بقيتْ له دابَّتُهُ ، وهذا هو حالِ من يجتهدُ في الطَّاعاتِ والنَّوافلِ إلى درجةِ الغُلُوِّ ، لا تبقى له نفسُهُ ، ولا يصلُ إلى كمالِ الطَّاعةِ الذي يرجو .

قالَ -ﷺ- : ((**صُمْ وَأَفْطِرْ ، وَقُمْ وَنَمْ**)) فهذا فيه بعدٌ عن الرَّهبانيةِ والتَّكلُّفِ والتَّنطُّعِ والتَّشدُّدِ في الدِّيْنِ ، فالإسلامُ دينٌ وسطٌ ، فيه الصِّيامُ ، وفيه الإفطارُ ، وفيه النَّومُ ، وفيه القيامُ وفيه الإحسانُ إلى النُّفوسِ ، وتكليفُها بما تطيقُ ، وتحبيبُها إلى الخيرِ بما فيه البرّ الرفيق .

في قولِهِ : ((**صُمْ وَأَفطِرْ ، وَقُمْ وَنَمْ**)) **فيه دليلٌ** على أنَّه لا يجوزُ للمُسلمِ أنْ يستمرَّ صائمًا ولذلكَ قالَ -ﷺ- : ((**لا صَامَ مَنْ صَامَ الأَبَدَ ، لا صَامَ مَنْ صَامَ الأَبَدَ ، لا صَامَ مَنْ صَامَ الأَبَدَ**)) ، وهذا خبرٌ بمعنى الإنشاءِ يدلُّ على النَّهي عن صيامِ ومواصلةِ الصِّيامِ .

وفي قولِهِ : ((**قُمْ وَنَمْ**)) **فيه دليلٌ** على أنَّ السُّنَّةَ مَنْ أرادَ أنْ يقومَ اللَّيلَ أنْ يقومَ وينامَ .

ومن هنا ثبتَتِ السُّنَّةِ عنِ النَّبيِّ -ﷺ- بذلكَ حينما أتى ثلاثةً من النَّفرِ إلى أزواجِ رسولِ اللهِ -ﷺ- و-رَضِيَ اللهُ عَنْهُنَّ أَجْمَعِيْنَ- ، فسألُوا أزواجَ النَّبِيِّ -ﷺ- ما هوَ هديُهُ وحالُهُ ، ثم أُخبرُوا بذلكَ ، فقالَ أحدُهم : واللهِ إنِّي لا أنامُ اللَّيلَ أبدًا ، وقالَ الآخرُ : إنِّي لا أُزوِّجُ النِّساءَ ، لَمَّا أُخبرَ -عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ- بمقالتِهم ، قالَ -عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ- ، ((**أَمَا إِنِّي أَنَامُ وَأَقُوْمُ ، وَأَصُوْمُ وَأُفْطِرُ ، وَأَتزَوَّجُ النِّسَاءَ ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**)) .

هذه سُنَّتُهُ -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيهِ- أنْ ينامَ الإنسانُ من اللَّيلِ ، وأنْ يصيبَ منَ اللَّيلِ حظًّا ثم يقومُ، والأفضلُ والأكملُ في نومِهِ أنْ ينامَ ثُلُثَي اللَّيلِ ، وأنْ يقومَ ثُلُثَهُ، كما ثبتَ عن النَّبيِّ ﷺ في قيامِ نبيِّ اللهِ داوُدَ ، وسيأتي تفصيلُ هذه الْمَسألةِ في الحديثِ الآتي -إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى-.

قالَ : ((**وَصُمْ مِنَ الشَّهْرِ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ**)) ، هذه الثَّلاثةُ الأيامُ مطلقةً :

قالَ بعضُ العلماءِ : الأفضلُ فيها أنْ تكونَ الثَّلاثةَ الأيامَ البيضَ ، وهي الثَّالثَ عشرَ ، والرَّابعَ عشرَ ، والخامسَ عشرَ ، **على أصحِّ قولي العلماءِ .**

وقالَ بعضُ العلماءِ : الثَّلاثةُ أيامٍ يفرِّقُهَا بينَ العشرِ الثَّلاثِ في الشَّهرِ ، فيصومُ في العشرِ الأُولى يومًا ، ويصومُ في العشرِ الوُسطى يومًا ، ويصومُ في العشرِ الثَّالثةِ يومًا .

وهو قولُ بعضِ التَّابعينَ من السَّلفِ الصَّالحِ -رَحِمَهُمُ اللهُ- ، فيجعلُ لكُلِّ ثُلُثٍ منَ الشَّهرِ يومًا قالُوا : هذا أفضلُ وأكملُ ، فتتوزَّعُ على الشَّهرِ كاملاً .

فَمِنَ العلماءِ مَنْ قالَ : يصومُ أولَ يومٍ منَ الشَّهرِ ؛ لأنَّه من أيامِ السَّرَارِ ، وقد قالَ -عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ- : ((**هَلْ صُمْتَ مِنْ سَرَرِ الشَّهْرِ شَيْئًا ؟**)) ، وسيأتي بيانُ هذه الْمَسألةَ ، ثم يصومُ في العشرِ الوُسطى ، ثم يصومُ في العشرِ الأخيرةِ .

هذه الثَّلاثةُ الأيامُ يرى بعضُ العلماءِ أنْ تكونَ مفرَّقةً .

وقالَ بعضُ العلماءِ : الأفضلُ أنْ تكونَ في سَرَرِ الشَّهرِ كاملةً ، الثَّلاثةَ الأيامِ في أولِ الشَّهرِ ، وهي الأيامُ التي يَسْتَسِرُّ فيها الهلالُ ، بمعنى لا يظهرُ ، ويكونُ ذلك في الخمسةِ الأيامِ الأُوَلِ ، طبعًا يظهرُ في بعضِها ، لكن يُفَضَّلُ أنْ يكونَ اليومَ الأولَ من الشَّهرِ واليومَ الثَّاني واليومَ الثَّالثَ. وحُفِظَ هذا عن أُمَّهَاتِ الْمُؤمنينَ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُنَّ وَأَرْضَاهُنَّ أَجْمَعِيْنَ– .

والسَّرَرُ أيضًا من الشَّهرِ يكونُ في آخرِهِ ، كاليومِ السَّابعِ والعشرينَ ، واليومِ الثَّامنِ والعشرينَ والتَّاسعِ والعشرينَ ، والثَّلاثينَ ، فهذه الأيامُ كُلُّهَا منَ السَّرَرِ ؛ لأنَّ الهلالَ يَسْتَسِرُّ فيها ، وَوَرَدَ فيها الحديثُ عن رسولِ اللهِ –ﷺ– ، وسيأتي تفصيلُها .

وأيًّا ما كانَ ، فإنَّ النَّبِيَّ –ﷺ– أطلقَ هذه الأيامَ ، وقالَ : ((**صُمْ مِنَ الشَّهْرِ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ**)) والْمُرادُ أنْ يحصلَ له صيامُ ثلاثةِ أيامٍ : من أولِ الشَّهرِ ، من أوسطِهِ ، من آخرِهِ ، فالأمرُ في هذا مطلقٌ ، لكن لا شكَّ أنَّ الأيامَ البيضَ أفضلُ ؛ لورودِ الخبرِ فيها عن رسولِ اللهِ –ﷺ– ، وكذلكَ أيامُ السَّرَارِ أفضلُ من غيرِها ؛ لورودِ الخبرِ عن رسولِ اللهِ –ﷺ– فيها .

أمَّا بالنِّسبةِ للحُكمِ العامِّ : فهوَ أنْ يختارَ ثلاثةَ أيامٍ على حسبِ مشاغلِهِ ، فمِنَ النَّاسِ مَنْ يتمكَّنُ من صيامِها في أيامِ العُطَلِ ، ولا يتمكَّنُ من صيامِها في أيامِ العملِ ، فحينئذٍ يصومُها في أيامِ العُطَلِ ، وهكذا بالنِّسبةِ لظُرُوفِ الغيرِ يختارُ ما يستعينُ به على طاعةِ اللهِ –عَزَّ وَجَلَّ– ويكونُ أرفقَ في تحقيقِ مصالحِهِ الأُخرى .

قالَ رسولُ اللهِ –ﷺ– : ((**فَإِنَّ الْحَسَنَةَ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا**)) أي أنَّ اللهَ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى– إذا عاملَ العبدَ كافأَهُ على إحسانِهِ وجازاهُ على الحسنةِ جعلَها له عشرةَ أضعافٍ ، وهذا أقلُّ ما يكونُ في العملِ جزاءً من اللهِ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى– ، فاللهُ كريمٌ ، فالحسنةُ بعشرِ أمثالِها على الحدِّ الأدنى ، وقد يضاعفُهَا اللهُ –عَزَّ وَجَلَّ– إلى سبعمائةِ ضِعْفٍ ، وقد يضاعفُهَا اللهُ أضعافًا كثيرةً لا يعلمُها إلا هوَ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى– .

يضاعفُ اللهُ للعبدِ الثَّوابَ ؛ **لأمورٍ عديدةٍ** :

((**الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا**)) للأصلِ العامِّ ، لكن لو صُمْتَ الثَّلاثةَ الأيامَ ، وكانَ صيامُهُنَّ فيه مشقةٌ وعذابٌ عليك ، ومعَ ذلكَ صبرْتَ وصابرْتَ ، فأجرُكَ أعظمُ مِنَ الذي يصومُ الثَّلاثةَ الأيامَ وتعبُهُ أقلُّ .

لو صُمْتَ الثَّلاثةَ الأيامَ ، وقد عُرِضَتْ عليك شهواتٌ وملذاتٌ ، فآثرْتَ مرضاةَ فاطرِ الأرضِ والسَّماواتِ ، واخترْتَ ما عندَ اللهِ على ما عندَ خلقِ اللهِ ، فصمْتَهُنَّ تبتغي الثَّوابَ من اللهِ ، أَكْبَرَ اللهُ منك ذلك وأعظمَهُ ، فأحسنَ الجزاءَ لك فيه .

لو صُمْتَ الثَّلاثةَ الأيامَ فكانَ صيامُكَ لها على تحرٍّ للسُّنَّةِ ، وائتساءٍ برسولِ اللهِ -ﷺ- واقتداءٍ فإنَّ الأجرَ يتضاعفُ .

فالأعمالُ تضاعفُ إلى عَشْرٍ كحدٍّ أقلٍّ ، ولذلك قد يُعْطِي الرَّجُلُ دينارًا واحدًا ، فيجعلُهُ اللهُ له عشرةَ أضعافٍ ، ويُعْطِي الآخرُ دينارًا ، فيجعلُهُ اللهُ له -عَزَّ وَجَلَّ- بمئاتِ الأُلُوفِ .

قالَ -ﷺ- : ((**سَبَقَ دِرْهَمٌ مِئَةَ دِرْهَمٍ**)) ، قالُوا : يا رسولَ اللهِ ، وكيفَ ذاكَ ؟ قالَ : ((**أَعْطَى وَتَصَدَّقَ رَجُلٌ فَقِيْرٌ بِدِرْهَمٍ لا يَمْلِكُ غَيْرَهُ ، وَتَصَدَّقَ رَجُلٌ غَنِيٌّ بِمِئَةِ دِرْهَمٍ مِنْ عَرْضِ مَالِهِ**)) ، فهذا الذي لا يملكُ إلا درهمًا واحدًا ، ويراهُ أنَّه هوَ بالغُ ما يجدُهُ ما عندَه ، كأنَّه خرجَ من مالِهِ كُلِّهِ للهِ -عَزَّ وَجَلَّ- ، فيجعلُ اللهُ له ثوابَ هذا الدِّرهمِ أضعافًا كثيرةً .

وقد تأتي للصَّدقةِ أو للصَّومِ ، لو أرادَ أنْ يصومَ ، فجاءَتْهُ زوجتُهُ تخذِّلُهُ عن الصَّومِ ، أو تثبِّطُهُ عن الطَّاعةِ ، أو لامَهُ بعضُ أصحابِهِ وأصدقائِهِ ، فالأجرُ يتضاعفُ .

وهذا هو معنى قولِهِ -عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ- عن أيامِ الصَّبرِ في آخرِ الزَّمانِ : ((**لِلْعَامِلِ فِيْهِنَّ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِيْنَ**)) قَالُوا : يَا رَسُوْلَ اللهِ ، خَمْسُوْنَ مِنَّا أَوْ مِنْهُمْ ؟ قَالَ : ((**بَلْ خَمْسِيْنَ مِنْكُمْ**)) ؛ لأنَّ العملَ الواحدَ في الزَّمانِ يعني في آخرِ الزَّمانِ وأيامِ الفتنِ يجعلُ اللهُ ثوابَهُ مُضاعفًا إلى خمسينَ ضعفًا فيما لو عَمِلَ في زمنِ النَّبِيِّ -ﷺ- : ((**لِلْعَامِلِ فِيْهِنَّ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِيْنَ**))

لا يعني هذا أنَّنا أفضلُ منَ الصَّحابةِ ، لا ، فلو أنفقَ الرَّجُلُ ملءَ أُحُدٍ ذهبًا ما بلغَ مُدَّ الصَّحابِيِّ ولا نصيفَهُ ، إنَّمَا الْمُرادُ الأجرُ الذي يرتِّبُهُ اللهُ على العملِ .

يقولُ العلماءُ في تفسيرِ هذا الحديثِ : إنَّ العاملَ في زمانِ الفتنِ له مثلُ أجرِ خمسينَ ؛ لأنَّ الفتنَ تحيطُ به من كُلِّ جانبٍ ، وإنْ خرجَ إلى الْمَسجدِ ليصلي فالفتنُ عن يمينِهِ وعن يسارِهِ ، ولرُبَّمَا بمجردِ أنْ يريدَ أنْ يخرجَ تتعلَّقُ به زوجتُهُ ويتعلَّقُ به أولادُهُ ، ولرُبَّمَا يستهزئُ به جارُهُ ، ويستهزئُ به مَنْ يمرُّ عليه ، ولكن في زمانِ النَّبِيِّ -ﷺ- لو خرجَ إلى الْمَسجدِ لدعا النَّاسُ له بالبركةِ وأحبُّوهُ في اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- : ((**إِنَّكُمْ تَجِدُوْنَ عَلَى الْحَقِّ أَعْوَانًا ، وَهُمْ لا يَجِدُوْنَ عَلَى الْحَقِّ أَعْوَانًا**)) ، فالأعمالُ تتضاعفُ بالفتنِ والْمِحنِ ، ولذلكَ كُلُّ عبدٍ صالحٍ إذا كانَ على خيرٍ وطاعةٍ وبرٍّ ، ووجدَ الفتنَ تحيطُ به ، واللهُ يثبِّتُهُ ويعينُهُ ، فليحتَسبِ الثَّوابَ عندَ اللهِ .

قالَ -ﷺ- : ((**فَإِنَّ الْحَسَنَةَ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا**)) أي يضاعفُها اللهُ على هذه الْمُضاعفةِ التي هي أقلُّ .

وعليه ، فمَنْ صامَ ثلاثةَ أيامٍ من شهرٍ كانَتْ كصيامِ شهرٍ كاملٍ ؛ لأنَّهَا تكونُ ثلاثينَ يومًا وذلكَ شهرٌ كاملٌ ، ففي كُلِّ شهرٍ يصومُ ذلكَ فكأنَّهُ صامَ الدَّهرَ كُلَّهُ .

((**قَالَ : يَا رَسُوْلَ اللهِ ، إِنِّي أُطِيْقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ**)) أي بي طاقةٌ وقوةٌ على أنْ أصومَ أكثرَ من ثلاثةِ أيامٍ في الشَّهرِ ، فـ-رضي الله عنه وَأَرْضَاهُ وَجَعَلَ أَعَالِيَ الْفِرْدَوْسِ مَسْكَنَهُ وَمَثْوَاهُ- بَخٍ بَخٍ ، هذه واللهِ النِّعمةُ ، وهذه هي واللهِ الغِبطةُ أنْ يُعطَى العبدُ محبةَ الآخرةِ ، فيُقالُ له : افعلْ ، فإذا به يلتمسُ الأكملَ والأفضلَ .

كانَ الصَّحابةُ -رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ- يبحثُونَ عن الأفضلِ والأكملِ في طاعةِ اللهِ ومرضاتِهِ ، باعُوا أنفسَهُم للهِ -عز وجل- ، باعُوا أنفسَهُم لِمَرضاةِ اللهِ -سُبْحَانَهُ- .

((**إِنِّي أُطِيْقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ**)) : أي بي جَلَدٌ وقوةٌ ، واللهُ متَّعَني بالصِّحةِ والعافيةِ ، فأُريدُ أكثرَ من ذلك ، يريدُ هذا الجسدَ وهذا الحولَ والقوةَ أنْ يستنفدَ في طاعةِ اللهِ ومرضاةِ اللهِ ، وكانَ من أشدِّ الصَّحابةِ خوفًا من اللهِ ، وحبًّا للهِ ، وورعًا في الدُّنيا -رضي الله عنه وَأَرْضَاهُ- .

قالَ -عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ- : ((**فَصُمْ يَوْمًا ، وَأَفْطِرْ يَوْمَيْنِ**)) تدرُّجٌ وحكمةٌ ، ومنهجٌ نبويٌّ في تربيةِ النُّفوسِ ودلالتِها على الخيرِ ، ما مَنَعَهُ ولا كَبَتَهُ ولا حالَ بينَه وبينَ الخيرِ ، فعبدُ اللهِ شابٌّ جَلِدٌ قويٌّ أنعمَ اللهُ عليه بالصِّحةِ والعافيةِ ، فإذا برسولِ اللهِ -ﷺ- يلاطِفُهُ ، ويفتحُ أمامَهُ بابَ الخيرِ ، منهجٌ لكلِّ والدٍ ولكلِّ أبٍ ولكلِّ معلمٍ ولكلِّ مربٍّ ولكلِّ شيخٍ أنْ يفتحَ أمامَ طلابِهِ وأمامَ النَّاسِ أبوابَ الخيرِ ، وإذا رأى مَنْ يرغبُ في الخيرِ أعانَهُ وثبَّتَهُ ودلَّهُ على ما هوَ أفضلُ .

((**قَالَ : يَا رَسُوْلَ اللهِ ، إِنِّي أُطِيْقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ**)) أي هلَّا دَلَلْتَني على ما هوَ أفضلُ من ثلاثةِ أيامٍ في كلِّ شهرٍ ، قالَ -عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ- : ((**فَصُمْ يَوْمًا ، وَأَفْطِرْ يَوْمَيْنِ**)) **وفي هذا دليلٌ** على أنَّ مَنْ صامَ يومًا وأفطرَ يومينِ ، فإنَّه أفضلُ ممَّنْ يصومُ ثلاثةَ أيامٍ من كلِّ شهرٍ .

((**قَالَ : يَا رَسُوْلَ اللهِ ، إِنِّي أُطِيْقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ**)) ، قالَ : ((**فَصُمْ يَوْمًا ، وَأَفْطِرْ يَوْمًا فَذَاكَ صِيَامُ**)) .

في روايةٍ : ((**نَبِيِّ اللهِ دَاوُدَ**)) . وفي روايةٍ : ((**أَخِي دَاوُدَ** -عليه السلام-)) .

قالَ رسولُ اللهِ -ﷺ- : ((**صُمْ يَوْمًا ، وَأَفْطِرْ يَوْمًا**)) .

وفي روايةٍ : ((**فَذَاكَ شَطْرُ الدَّهْرِ**)) أي نصفَ الدَّهرِ ، أي كأنَّكَ صُمْتَ نصفَ الدَّهرِ .

وهنا إشكالٌ : لِمَاذا قالَ في الثَّلاثةِ الأيامِ : ((**فَذَلِكَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ**)) ، وقالَ هنا في صومِ يومٍ وإفطارِ يومٍ : ((**أَنَّهُ شَطْرُ الدَّهْرِ**)) ؟

هذه أمورٌ نسبيةٌ ، ومن هنا يقولُ العلماءُ : إنَّ مَنْ ضُوعِفَ له الثَّوابُ بالنِّسبةِ ليسَ كمَنْ يكونُ حقيقةً .

وتوضحُ ذلكَ : إذا جلسْتَ بعدَ صلاةِ الفجرِ حتى تطلعَ الشَّمسُ في مصلاكَ تذكرُ اللهَ وتثني على اللهِ بما هوَ أهلُهُ حتى تطلعَ عليك الشَّمسُ ، لم تتحرَّكْ من مكانِكَ ؛ لقولِهِ -ﷺ- : ((**مَنْ صَلَّى الْفَجْرَ فِي جَمَاعَةٍ**)) ، هذا الشَّرطُ الأولُ ، ((**ثُمَّ جلَسَ يَذْكُرُ اللهَ حَتَّى تَطْلُعَ عَلَيْهِ الشَّمْسُ ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ ، كَانَ لَهُ كَأَجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ تَامَّةٍ تَامَّةٍ**)) ، هذا الأجرُ والثَّوابُ على الأصلِ ، فاللهُ جعلَ مثلاً للحجِّ والعمرةِ ، لو فرضْنَا مئةَ ألفِ حسنةٍ ، هذا أصلُ الثَّوابِ يكتبُ للعاملِ ، لكن لو حججْتَ حقيقةً واعتمرْتَ حقيقةً كُتبَتْ لك الْمِئةُ ألفٍ ، وكُتِبَ تعبُكَ ونصبُكَ في الطَّريقِ ، فمَنْ حجَّ من مكانٍ بعيدٍ مضاعفٌ له بالْمَزيدِ ، ومَنْ حجَّ من مكانٍ قريبٍ دُونَ الذي قبلَهُ : ﴿ **وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ** ﴾ ، فاللهُ لا يضيعُ أجرَ مَنْ أحسنَ عملاً ، فيجعلُ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- شطرَ الدَّهرِ أي في الصِّيامِ الحقيقيِّ ؛ لأنَّه ليسَ هناكَ صيامٌ على الوجهِ التَّامِّ أنْ يصومَ الدَّهرَ حقيقةً ، لكن أنْ يصومَهُ حُكمًا بالْمُضاعفةِ هذا شيءٌ ، ثم أنْ يكونَ له شطرُ الدَّهرِ حقيقةً ، هذا شيءٌ آخر .

وعلى هذا ، فلا إشكالَ في قولِهِ : ((**فَذَلِكَ شَطْرُ الدَّهْرِ**)) .

قالَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ- : ((**إِنِّي أُطِيْقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ**)) -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ- طمعٌ في الخيرِ ، وتلهُّفٌ في الخيرِ ، يريدُ أنْ يَصِلَ للذي قالَهُ ، يريدُ أنْ يصومَ فلا يفطرُ ؛ لأنَّه إذا صامَ يومًا وأفطرَ يومًا ، بعدَها أنْ يصومَ يومينِ ، ويفطرُ يومًا ، لكنَّ النَّبِيَّ -ﷺ- مَنَعَهُ من ذلك ، وقالَ : ((**لا أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ**)) **وهذا يدلُّ** على أنَّه ليسَ هناكَ من صيامِ يومٍ وإفطارِ يومٍ .

في قولِهِ : ((**فَصُمْ يَوْمًا ، وَأَفْطِرْ يَوْمًا**)) **فيه دليلٌ** على أنَّه يجوزُ أنْ يصومَ الْمُسلمُ يومًا ويفطرُ يومًا ولو وَافَقَ يومَ الجمعةِ ، لأنَّ النَّبِيَّ -ﷺ- أطلقَ .

وقالَ بعضُ العلماءِ : الْمُطلقُ هنا مُقيَّدٌ بنهيِهِ -عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ- عن تخصيصِ الجمعةِ .

وأُجِيْبَ : بأنَّ هذا له صومٌ يصومُهُ ويعتادُهُ ، ولم يُرِدِ الجُمُعَةَ عينًا ، وإنَّمَا حُظِرَ من صيامِ الجُمُعةِ لِمَنْ قصدَها تعظيمًا ليومِ الجمعةِ ، فنُهِيَ عن تخصيصِها بصيامٍ وقيامٍ ، وذلك كفًّا عن الحَدَثِ وعن الغُلُوِّ في يومِ الجمعةِ ، كما استظهرَهُ غيرُ واحدٍ من العلماءِ -رَحِمَهُمُ اللهُ- .

قالَ -عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ- : ((**لا أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ**)) أخذَ عبدُ اللهِ -رضي الله عنه- بوصيةِ رسولِ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- فصامَ وأفطرَ ، ثم شاءَ اللهُ أنَّه لَمَّا كَبُرَ سِنُّهُ ، ورقَّ عظمُهُ ، كانَ يقولُ -رضي الله عنه- : (يا ليتَنِي أخذْتُ بوصيةِ رسولِ اللهِ -صلى الله عليه وسلم-) ، **وهذا يدلُّ** على أنَّه ينبغي للمُسلمِ دائمًا أنْ يرضى بوصيةِ مَنْ هوَ أعلمُ منه ، وأتقى وأورعُ وأرعى لحرماتِ اللهِ -عز وجل- منه ، وأنَّه لا ينبغي على الشَّابِّ أنْ تأخُذَهُ طفرةُ الشَّبابِ ، فإنَّ الشَّابَّ يحتاجُ إلى حكمةِ مَنْ هوَ أكبرُ منه سِنًّا ، وإذا أرادَ اللهُ بالشَّابِّ الخيرَ رَزَقَهُ الرُّجوعَ إلى مَنْ هوَ أكبرُ وأسَنُّ ، فإنْ مَنْ رجعَ إلى كبارِ السِّنِّ واستفادَ من علمِهم وخبرتِهم وحكمتِهم .

قالَ بعضُ العلماءِ : مَنْ رجعَ إلى مَنْ هوَ أكبرُ رَزَقَهُ اللهُ عقلاً مع عقلِهِ .

وكانَ بعضُ مشايخِنا إذا سمعَ هذا القولَ يقولُ : بل رَزَقَهُ عُقُولاً مع عقلِهِ ؛ لأنَّ كبيرَ السِّنِّ يجمعُ من الحكمةِ والتَّجاربِ والخبرةِ ما لم يكُنْ لغيرِهِ .

فهذا رسولُ الأُمَّةِ -صلى الله عليه وسلم- لم ينظرْ لعبدِ اللهِ في صحتِهِ ، وإنَّما نَظَرَ إليه إلى ما وراءَ ذلكَ [.........]-رضي الله عنه- على صومِ يومٍ وإفطارِ يومٍ إلى آخرِ عمرِهِ ، ما فَتَرَ عن هذا الخيرِ -رضي الله عنه- وَأَرْضَاهُ- ؛ لأنَّ الصَّحابةَ -رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ- كانُوا لا يتركُونَ الطَّاعةَ ، ولا يسأمُونَ من البرِّ .

نسألُ اللهَ العظيمَ ربَّ العرشِ الكريمِ ، أنْ يرزقَنا حبَّهُم ، وأنْ يحشرَنَا في زمرتِهِم ، واللهُ -تَعَالَى- أعلمُ .